عقود المرجان في فضائل معاوية

بن أبي سفيان رضي الله عنه

إعداد

شبكة بينونة

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن من الأمور المسلمة عند أهل السنة والجماعة، هو حفظ مكانة أصحاب النبي ﷺ، واعتقاد عدالتهم جميعًا، وأنهم خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ؛ لذلك أُمرنا بالثناء عليهم، وذكرهم بالجميل ومن ذكرهم بغير ذلك فهو على غير السبيل، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد من ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» . [رواه البخاري ومسلم]

ويقول الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرق في حب أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان، وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق، وطغيان».

[«شَرْحُ الطَّحاوِيَّةِ» لابنِ أبي العِزِّ (٢/ ٦٨٩)]

ومن صحابة رسول الله ﷺ، المشهود لهم بالعدالة والخيرية، ومن أصحاب المناقب والفضائل، الصحابي الجليل، أبو عبد الرحمن أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ولا ريب أن معاوية من أكابر الصحابة نسبًا، وقربًا من النبي ﷺ، وعلمًا وحلمًا، فاجتمع لمعاوية شرف الصُحبة، وشرف النسب، وشرف مصاهرته للنبي ﷺ، فهو كاتب وحي رسول رب العالمين، وشرف العلم والحلم، والإمارة، والخلافة، وبواحدة مما ذكرنا تتأكد المحبة لأجلها، فكيف إذا اجتمعت، وهذا كافل لمن في قلبه أدنى إصواء للحق، وإذعان للصدق.

ومعاوية ﷺ داخل في جملة الأدلة الدالة على فضل الصحابة وعدالتهم، كقوله ﷻ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

أسلم معاوية عام الفتح، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أبوه من سادات قريش، وتفرد بالسؤدد بعد يوم بدر، ثم لما أسلم بعد ذلك حسُن إسلامه، وكان له مواقف شريفة، وأثار محمودة في يوم اليرموك وما قبله، وما بعده، وصحِب معاوية رسول الله ﷺ، وكتب الوحي بين يديه مع الكُتاب، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في الصحيحين، وغيرها من السنن، والمسانيد، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين». [البداية والنهاية (١١/٣٩٧)]

فعن رسول الله ﷺ، أنه قال: «اللهم اجعله هاديًا مهديًا، واهد به» يعني بذلك معاوية ﷺ. [رواه الترمذي (٣٨٤٢)]

وكان أحد من كتبوا للنبي ﷺ الوحي، فقال أبو سفيان للنبي ﷺ: «يا نَبِيَّ اللهِ ثَلاثٌ أعْطِنِيهِنَّ، قالَ: نَعَمْ قالَ: عِندِي أحْسَنُ العَرَبِ وأَجْمَلُهُ، أُمُّ حَبِيبَةَ بنْتُ أبِي سُفْيانَ، أُزَوِّجُكَها، قالَ: نَعَمْ قالَ: ومُعاوِيَةُ، تَجْعَلُهُ كاتِبًا بيْنَ يَدَيْكَ، قالَ: نَعَمْ قالَ: وتُؤَمِّرُنِي حتّى أُقاتِلَ الكُفّارَ، كما كُنْتُ أُقاتِلُ المُسْلِمِينَ، قالَ: نَعَمْ» [رواه مسلم (٢٥٠١)].

وفي عهده ﷺ فتحت قبرص، وقاتل المسلمون أهل القسطنطينية، أخرج البخاري في صحيحه، عن أم حرام ﷺ أنّها سمعت النّبي ﷺ، يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر فقد أوجبوا» أي الجنة «قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم، قال: انت فيهم، ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله، قال: لا». [رواه البخاري (٢٩٢٤)]

يقول سعيد بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما قُتل عثمان

ووقع الاختلاف لم يكن للمسلمين في غزو حتى اجتمعوا على معاوية فأغزاهم مرات، ثم أغزى ابنه في جماعة من الصحابة برا وبحرا، حتى أجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها، ثم قفل».

وقد شهد له ابن عباس ﷺ بالفقه والعلم، ففي صحيح البخاري قيل لابن عباس: «هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة، فقال ابن عباس: إنه فقيه». [رواه البخاري (٣٧٦٥)]

يقول ابن حجر: «هذه شهادة من حبر الأمة بفضله ﷺ».

وعن ابن عمر ﷺ قال: «ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية، قيل ولا عمر، قال: كان عمر خيرا منه، وكان هو أسود من عمر». [السنة للخلال (٦٨٠)]

ومعنى أسود أي أسخى وأعطى للمال، وقيل أحكم منه.

وكان حريصًا على اتباع السنة، وكان يأمر الناس بالحديث وينهاهم عن مخالفته، وكان إذا أتى المدينة وأُسمع من فقهائها شيئًا يخالف السنة، قال لأهل المدينة: أين علماؤكم، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: كذا، ورأيته يفعل كذا.

وأخرج البخاري عنه أنه قال: «إنكم لتصلون صلاة، لقد صحبنا النبي ﷺ، فما رأيناه يصليها، ولقد نهى عن ركعتين بعد العصر» [(٥٨٧)].

وأخرج مسلم عن عمرو بن عطاء قال: «أن نافع بن جبير أرسله إلى السائب يسأله عن شيء رأه من معاوية في الصلاة، فقال: نعم صليت معه الجمعة في المقصورة فلما سلّم قمت في مقامي فصليت، فلما دخل أرسل إلي فقال: لا تعد لما فعلت إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج». [(٨٨٣)]

وهذا من فقهه رضي الله تعالى عنه ومن أحكام الجمعة.

ومن فضائله كذلك: استخلاف عمر ﷺ معاوية على الشام، ولا شك أنها منقبة لمعاوية؛ لأن عمر كان شديد التحري في الاختيار، واصطفاء الأمراء الصالحين، وأقره على استخلافه عثمان بن عفان -رضي الله عنهم، فلم ينزله ولم يعزله.

يقول الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال خليفة: ثم جمع عمر الشام كلها لمعاوية، وأقره عثمان، قلت: أي الذهبي: حسبُك بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على أقليم، وهو ثغر فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه وسعة نفسه، وقوة دهائه ورأيه، وكان محببا إلى رعيته، عمل نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجوه أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم». [سير أعلام النبلاء (٣/١٣٢)]

ومن حلمه ﷺ وسؤدده أنه عندما ولي معاوية الشام كانت سياسته على رعيته من أفضل السياسات، وكانت رعيته تحبه، ويحبهم، يقول قبيصة بن جابر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيت أحدًا أعظم حلمًا ولا أكثر سؤددًا، ولا أبعد أناةً، ولا ألين مخرجًا، ولا أرحب باعًا بالمعروف من معاوية».

قال بعضهم: اسمع رجل معاوية كلامًا شديدًا، فقيل له لو سطوت عليه -أي لو عاديته وحكمت عليه- فقال: «أني لأستحي من الله أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي». [تاريخ الطبري (٥/٣٣٧)]

كان السلف الصالح لا يفضلون أحدًا على صحابة النبي ﷺ، ولا يرضون بالطعن على أحد منهم، ومما يدل على ذلك أن بعض الناس فضّل عمر بن عبد العزيز، وهو من التابعين ومن المشاهير بالعدل، فضّله على معاوية، فماذا قال السلف في ذلك؟

قال رجل للمعافى بن عمران: «عمر بن عبد العزيز أفضل من معاوية، فغضب المعافى، وقال: لا يقاس أحد بأصحاب النبي ﷺ، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه،

وأمينه على وحي الله ﷻ».

وسئل ابن المبارك عن معاوية، فقال: «ماذا أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: «سمع الله لمن حمده، فقال معاوية خلفه: ربنا ولك الحمد»، وقيل له أي ابن المبارك: أيهما أفضل هو أم عمر بن عبد العزيز، فقال ﷺ: لترابُ في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ في الجهاد في سبيل الله، خيروأفضل من عمر بن عبد العزيز».

وقال الفضل بن زياد: «سمعت أبا عبد الله الإمام أحمد بن حنبل وقد سئل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص، أيقال له رافضي؟ فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام أحمد: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقص أحد من الصحابة إلا وله داخلة سوء».

وقال إبراهيم بن ميسرة: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قط إلا إنسانًا شتم معاوية فإنه ضربه أسواطًا».

ويقول أبو توبة الربيع بن نافع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلمة عظيمة مشهورة: «معاوية ستر لأصحاب محمد ﷺ، فإذا كشف الرجل الستر -أي طعن فيه- اجترأ على ما ورائه».

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في السنة: «من السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو احدًا منهم فهو مبتدع رافضي، حبهم سنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بأثارهم فضيلة».

وقال: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفوا عنه، بل يعاقبه ثم يستتِبُه فإن تاب قُبِل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت ويراجع».

اللهم أرض عن صحابة نبيك الكرام، اللهم أرض عن الصحابة الكرام، واجمعنا بهم في جنات النعيم.